أخبار الخليج

العدد (17490) - السنة الحادية والخمسون - الثلاثاء 22 شعبان 1447هـ - 10 فبراير 2026م

التواطؤ الغربي في دعم السياسات الإسرائيلية وتبييض جرائم الحرب

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

منذ أكتوبر 2023، استمرت إسرائيل في تنفيذ عملياتها العسكرية في غزة والأراضي الفلسطينية المحتلة، في سياق ما يُعد إبادة جماعية ممنهجة ضد الشعب الفلسطيني. ورغم الانتهاكات الواضحة للقانون الدولي، رفضت الحكومات الغربية اتخاذ مواقف حازمة ضد هذه الجرائم، سواء من خلال محاسبة القادة الإسرائيليين أمام المحكمة الجنائية الدولية أو فرض عقوبات اقتصادية وسياسية على إسرائيل، كما فعلت مع روسيا بعد اندلاع الحرب مع أوكرانيا.

وبينما تغرق غزة في دمار شامل، يبرز دور الشركات الغربية الكبرى في تعزيز السياسات الإسرائيلية عبر الحملات الدعائية والشركات الاستشارية التي تسهم في إخفاء الجرائم المرتكبة. وفي هذا السياق، يسلط الضوء على دور الشركات العالمية الكبرى مثل مجموعة بوسطن الاستشارية التي كانت في قلب هذا التواطؤ.

وطرحت أنيل شيلين، زميلة أولى غير مقيمة في المركز العربي بواشنطن، والتي استقالت من منصبها في مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل بوزارة الخارجية الأمريكية في مارس 2024 احتجاجًا على دعم إدارة بايدن لإسرائيل، السؤال: «كيف يمكن للعالم أن يسمح باستمرار المذبحة العشوائية للفلسطينيين» دون سبيل للانتصاف منذ أكتوبر 2023، وأضافت أن أحد الأسباب المهمة هو «استفادة العديد من الشركات القوية» في الولايات المتحدة ودول غربية أخرى «من تصرفات إسرائيل».

وتم التطرق إلى التقرير الذي صدر في يوليو 2025 عن فرانشيسكا ألبانيزي، المقررة الخاصة المعنية بحالة حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بعنوان «من اقتصاد الاحتلال إلى اقتصاد الإبادة الجماعية»، والذي يوضح كيف مكنت العديد من الشركات الغربية، من بينها مصارف مثل باركليز، وبي إن بي باريبا، وشركات التكنولوجيا العملاقة مايكروسوفت وجوجل وأمازون، وشركات إدارة الأصول بلاك روك وفانغارد «اقتصاد الإبادة الجماعية» مع «عرض وطلب كبيرين، ورقابة ضئيلة، ومساءلة صفرية».

وأثارت شيلين، والتي تعمل أيضًا زميلة باحثة في معهد كوينسي للحكم الرشيد، المزيد من الجدل حول كيفية استفادة العديد من هذه الشركات الغربية ماليًا على وجه الخصوص من «جهود إسرائيل المستمرة لتجنب المساءلة» عن جرائم الحرب التي ارتكبتها، من خلال حملات التأثير التي تحاول تبييض سمعة البلاد السلبية بشكل واضح في جميع أنحاء العالم.

وأشهر تلك الوقائع تلك المتعلقة بمجموعة بوسطن الاستشارية، والتي أميط اللثام عن دورها في التخطيط لأسوأ سياسات الحكومة الإسرائيلية - بدءًا من التحريض على تقويض البرنامج الإنساني للأمم المتحدة في غزة من خلال ما يسمى «مؤسسة غزة الإنسانية» الفوضوية، والتخطيط لإعادة بناء غزة على غرار مخطط «ريفييرا الشرق الأوسط» للرئيس الأمريكي دونالد ترامب، والدفع نحو الترحيل القسري للاجئين الفلسطينيين إلى أجزاء بعيدة من آسيا وإفريقيا.

وكما أشارت مروة مزيد، أستاذة العلاقات الدولية في جامعة ميريلاند، فإنه على الرغم من أن آلة الدعاية الإسرائيلية حول العالم -عبر شركات الاستشارات الغربية ومواقع التواصل الاجتماعي «تستطيع شراء وقت البث، والروبوتات، واللوحات الإعلانية»، فإنها لا تستطيع «شراء الشرعية» عندما تستند سياساتها على الاحتلال الدائم، والتطهير العرقي، والإبادة الجماعية، ويتبدى إخفاقها في استطلاعات الرأي بين الشعوب الغربية، الذين حتى في حالة الولايات المتحدة- يرفضون الآن بشدة حرب إسرائيل ضد غزة ويعززون مكانتها كدولة منبوذة دوليا.

وبالتمعن مع البحث الذي تمخض عنه تقرير ألبانيز المذكور آنفًا، والذي أدرج «شركات مالية وبحثية وقانونية واستشارية وإعلامية ودعائية» غربية كـ«مُمكنات» للاقتصاد الإسرائيلي القائم على الإبادة الجماعية، سجلت شيلين كيف أن «التحقيقات الإضافية في شركات الاستشارات وشركات التواصل الاجتماعي والعلاقات العامة التي تتخذ من الولايات المتحدة مقرًا لها»؛ تؤكد «اضطلاعها بدور حيوي - وإن كان غالبًا ما يتم تجاهله- في تبييض جرائم الإبادة الجماعية الإسرائيلية في غزة، وفي صرف الإدانة الدولية التي تنامت بالأشهر الأخيرة».

كانت مجموعة بوسطن الاستشارية فاعلًا جوهريًا فيما يسمى «مؤسسة غزة الإنسانية»، والتي بدأت عملياتها شهر مايو 2025، في أعقاب الحصار الإسرائيلي الذي دام شهورًا لمنع وصول المساعدات. وكان توم فليتشر، وكيل الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، قد نعتها بأنها «عرض جانبي ساخر»، وشهدت شيلين بأن تدشينها؛ بقصد متعمد «استبدال وكالات الأمم المتحدة، وخاصة الأونروا، في دورها القيادي القائم على توزيع المساعدات الإنسانية بغزة» مع «تجاهل واضح للمبادئ الإنسانية».

في الواقع، مع توثيق استخدام جنود الاحتلال الإسرائيلي والمتعاقدين الأمريكيين الخاصين للذخيرة الحية ضد حشود المدنيين اليائسين الساعين للحصول على كميات غير كافية من المساعدات الإنسانية؛ فليس من المستغرب إفادة الأمم المتحدة بسقوط 1400 شهيد فلسطيني ممن حاولوا الحصول على المساعدات بين مايو وأغسطس 2025، أكثر من 850 منهم في مواقع «مؤسسة غزة الإنسانية».

وسجلت يارا إبراهيم، من مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي كيف لعبت بوسطن الاستشارية «دورًا رئيسيًا في تصميم» مؤسسة غزة الإنسانية، ولا سيما مع فيل رايلي، مؤسس ومدير شركة «سيف ريتش سولوشنز»، وهو أحد المقاولين العسكريين الخاصين الذين عينتهم «المؤسسة»، والذي كشف لاحقًا أنه كان مستشارًا سابقًا لمجموعة بوسطن الاستشارية بين عامي 2017 و2025، بل كان لا يزال يشغل ذات المنصب عندما شرع في تعاونه مع صناع القرار الإسرائيليين ببرنامج مساعدات ليحل محل وكالات الأمم المتحدة.

وعلاوة على ذلك، في يونيو 2025، أفيد كيف تم تمويل «سيف ريتش سولوشنز» نفسها من قبل شركة «ماكنالي كابيتال» ومقرها شيكاغو، والتي تمتلك بدورها «أوربس»، ومقرها فرجينيا، والتي ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» أنها شاركت أيضًا في مخطط «أنماط جديدة لتوزيع الغذاء في غزة» تحت رعاية إسرائيل.

وبُعيد التغطية الإعلامية لهذا الدور، سلطت شيلين الضوء على كيف دخلت مجموعة بوسطن الاستشارية في «وضع السيطرة على الأضرار»، لتبرئة نفسها عبر طردها اثنين من الشركاء في يونيو 2025 بتهمة «العمل غير المصرح به» فيما يتعلق بتوزيع المساعدات في غزة، ومع ذلك في الشهر التالي، أفاد ستيفن فولي، من صحيفة «فاينانشال تايمز»: كيف جاء دور الشركة «أكثر شمولاً» مما جرى الاعتراف به؛ حيث «يمتد على مدى سبعة أشهر، ويغطي أكثر من 4 ملايين دولار من العمل المتعاقد عليه»، و«ينطوي على مناقشات داخلية على المستويات العليا للشركة».

على سبيل المثال، من المعروف أن مجموعة بوسطن الاستشارية تعاونت مع معهد توني بلير للتغيير العالمي في مخطط يهدف إلى تنفيذ نية ترامب المعلنة سابقًا لتحويل غزة إلى ما يشبه «الريفييرا» على ساحل البحر المتوسط. ولتحقيق ذلك، كشف فولي كذلك كيف خططت الشركة لعمليات نقل قسري للاجئين الفلسطينيين إلى دول أخرى بالتنسيق مع رجال أعمال إسرائيليين. وزعمت الشركة أن هذه التحركات قد تحقق فوائد اقتصادية بقيمة 4.7 مليارات دولار للدول المستقبلة للاجئين، بينما رأت ببرود أن نحو 500 ألف فلسطيني سيتم إجبارهم على مغادرة أرضهم سيحصلون فقط على «حزم إعادة توطين» تبلغ حوالي 9 آلاف دولار.

ففي موازنة عام 2025، خصص ائتلاف نتنياهو المتشدد مبلغًا إضافيًا قدره 150 مليون دولار لوزارة الخارجية لأغراض «الدبلوماسية العامة»، وهو رقم يتجاوز الميزانيات السابقة بعشرين مرة. وثقت شيلين أن جوجل حصلت على عقد بقيمة 45 مليون دولار لعرض مقاطع دعائية على يوتيوب، بينما حصلت منصة إكس التابعة لإيلون ماسك على 3 ملايين دولار لحملة إعلانات مؤيدة لإسرائيل.

وفي يونيو 2024، استأجرت وزارة شؤون الشتات الإسرائيلية شركة ستويك لإدارة حملة سرية على وسائل التواصل في الولايات المتحدة عبر حسابات مزيفة استهدفت الجمهور التقدمي بمحتوى مؤيد لإسرائيل. وعلى الرغم من إزالة المنصات لهذا المحتوى، فإن ميزة جديدة في إكس تكشف أن الحسابات التي يُفترض أنها أمريكية أو إسرائيلية تُدار فعليًا من دول مثل الهند ونيجيريا، مما يبرز مدى انتشار آلة النفوذ الإسرائيلي.

رغم أن الجهاز الدعائي الإسرائيلي «لا يزال يعمل بكامل طاقته»، فإن واقع «المدن المدمرة والمجاعة الجماعية وارتفاع وفيات المدنيين» جعل رواية مزيد حول غزة والفلسطينيين عاجزة. وقد انعكس ذلك في تراجع صورة إسرائيل وحكومتها في الدول الغربية. ففي عام 2025، سجلت معدلات تأييد منخفضة تاريخيًا لإسرائيل في أوروبا، وتكرر هذا في الولايات المتحدة. أظهر استطلاع مركز بيو في سبتمبر 2025 أن 59% من الناخبين الأمريكيين يحملون رأيًا سلبيًا تجاه الحكومة الإسرائيلية، و79% يعربون عن قلقهم من قتل المدنيين الفلسطينيين، بينما يعارض 69% التهجير القسري من غزة.

وفي استطلاع آخر من جامعة كوينيبياك، تراجعت نسبة الأمريكيين الذين يرون أن دعم إسرائيل «مصلحة وطنية» من 69% في 2023 إلى 47% في 2025. كما أشار شبلي تلحمي، أستاذ أمريكي في قسم الحكومة والسياسة في جامعة ميريلاند، إلى أن هذا التحول في الرأي العام قد يضغط على صناع القرار، خاصة في الحزب الديمقراطي حيث يواجه السياسيون الذين يحصلون على دعم من إيباك انتقادات أكبر. حتى في الحزب الجمهوري الترامبي، أظهرت استطلاعات أن 37% من الأمريكيين عبروا عن عدم رضاهم عن إسرائيل، بما في ذلك 50% من الفئة العمرية 18-49 عامًا، مما دفع بعض المعلقين المحافظين، بما في ذلك داخل حركة «ماغا»، إلى الانتقاد المتزايد لحكومة إسرائيل والدعم الأمريكي المستمر لها.

لكن، ومن دون اتخاذ الحكومات الغربية خطوات منسقة ضد حملات التأثير الإسرائيلية، ستواصل الشركات الغربية التعاون معها. فعلى سبيل المثال، رغم أن إدارة مايكروسوفت أوقفت وصول إسرائيل إلى منصة أزور السحابيّة تحت ضغط شعبي ومن المساهمين، إلا أن شيلين ترى أن هذا سيجعل حكومة نتنياهو تعتمد أكثر على جوجل وأمازون بدلًا من ذلك. وبالنسبة إلى مجموعة بوسطن الاستشارية، فإن منظمة إنقاذ الطفولة هي الوحيدة بين المؤسسات الإنسانية الكبرى التي قطعت علاقاتها معها، بينما أفاد ويل وورلي من نيو هيومانيتاريان أن منظمة الصحة العالمية لا تزال تملك عقدًا ضخمًا مع المجموعة، وأن برنامج الغذاء العالمي لم يتجاوز مستوى «المراجعة الشاملة» في تقييم علاقته بالشركة.

وأوضحت آراتي كريشنان من مركز دراسة المخاطر الوجودية بجامعة كامبريدج أن «النبرة السائدة» في المنظمات الإنسانية تتجه نحو مراجعات شكلية وتصريحات حذرة تعكس استعدادًا للتنازل عن المبادئ مقابل الاستمرارية. كما عبرت ديبورا دوان من منظمة رايتس كولاب عن أسفها لأن هذا المثال ليس سوى «جزء بسيط من المشكلة»، موضحة أن القطاع الإنساني أصبح منذ أواخر التسعينيات أكثر اعتمادًا على مستشاري الإدارة، ما أدى إلى إبعاده عن العمل المبني على التضامن.

وأشارت شيلين إلى أن «إدارة سمعة إسرائيل» بالنسبة إلى ائتلاف نتنياهو المتطرف وللدول الغربية التي لا تزال تحميه من المساءلة الدولية تعد أمرًا ثانويًا أمام تحقيق أهدافه في غزة ضد الفلسطينيين. وبالتالي، ورغم أن الشركات الاستشارية الغربية مثل مجموعة بوسطن الاستشارية تعرضت لضرر في سمعتها بسبب مشاركتها في مخطط مؤسسة غزة الإنسانية، إلا أنه لا ينبغي تجاهل أن هذه الخطة حققت بالنسبة إلى الحكومة الإسرائيلية هدفها الأساسي المتمثل في تقويض دور الأمم المتحدة في غزة ودفع مئات آلاف السكان إلى الجوع وسوء التغذية والمجاعة.

ومع تراجع الزخم السياسي نحو محاسبة إسرائيل بعد إعلان وقف إطلاق النار في أوائل أكتوبر 2025، حذر مسؤول سابق في وزارة الخارجية من أنه مع تعزيز إسرائيل قبضتها على غزة وتوسيع ضمها للأراضي في الضفة الغربية، فقد تصل في النهاية إلى مرحلة ترى فيها أن أي حملة تضليل إعلامي لم تعد «ضرورية» على الإطلاق.

رئيس المعهد العربي الأمريكي

عالم يتغير

جزر الشياطين والبستان البوهيمي!

فوزية رشيد

كثر الحديث وكثرت التحليلات المكتوبة والمصورة عن تسريبات «ملف إبستين» وسر جزيرة الرعب الشيطانية، التي كان يديرها، وزوار تلك الجزيرة من الزعماء والمشاهير، والممارسات الشيطانية في تلك الجزيرة المسماة بـ «البستان البوهيمي»، من اغتصاب الأطفال وشرب دمهم وأكل لحومهم وتعاطي مادة «الأدرينوكروم» المستخلصة من قتل طفل بعد إصابته بالرعب الشديد! باعتقاد أن تلك المادة الغالية جداً، تسهم في تمديد شباب المتعاطين لأطول فترة ممكنة!

ولكن ما تم نشره حتى اللحظة من تسريبات هو مجرد تسريبات لـ«بعض» الوثائق والملفات التي يبلغ عددها الملايين! ولأن الحقيقة صعبة وأكثر مما يعتقد كثيرون ولا يمكن استيعابها، فإنه لا يمكن أيضاً نشرها بالكامل!.

هناك من يتساءل: من وراء هذه التسريبات؟ ولماذا تم إظهارها الآن بعد إعلان انتحار «إبستين» بسنوات طويلة أي في عام 2019؟!

وهل إبستين «كان مجرد شخص شيطاني مستقل أم أنه كان ظلا لجهة استخباراتية أكدها كثيرون أنها الموساد؛ أي كان ظل الموساد في العالم! ولذلك لم يكن الهدف وراء توثيق وتسجيل ما تم في «البستان البوهيمي» مجرد إشباع غرائز شيطانية وطقوس شريرة وجمع للأموال، وإنما توثيق لابتزاز كل من كان يزور تلك الجزيرة لاحقاً ومطاردتهم بالفضائح واستغلالهم!

ولكن الغريب أن هذه الملفات التي تم تسريبها ورغم كثرتها، إلا أنها موجهة حالياً لكشف فضائح. «ترامب»!

ولذلك ردّ ترامب «بأنه بدوره سيفضح الجميع منهم!

حول ذلك كتب المفكر الروسي الكسندر دوغين: (اعتبار ما يحدث أنه نظرية ابتزاز إسرائيل لترامب بادعاءات «إبستين» لمهاجمة إيران هي نظرية ضيقة الأفق!

سيحدث ما هو أخطر بكثير! خداع الشعوب أسهل بكثير من إقناعها بأنها مخدوعة! وأفضل طريقة لإخفاء الحقيقة هو جعله أمام عيون الجميع! لا توجد هنا نظرية مؤامرة «بل توجد مؤامرة، تهدف لتغييب العقول وتجهيل الشعوب وزيادة نسبة الغباء بين شعوب العالم يوما بعد يوم)!

الغريب أن تسريبات أخرى موازية لتسريبات الملفات في جزيرة «البستان البرهيمي» تؤكد عدم صحة انتحار «إبستين» في زنزانته عام 2019! بل إنه يقضي تقاعده الآن في «تل أبيب»، وهو ما لا يعلمه كثيرون!

وهناك تحقيقات أخرى تظهر أن جزيرة «إبستين» التي أثارت كل هذا اللغط، ليست وحدها في ممارسة الطقوس الشيطانية واغتصاب الأطفال وقتلهم بل إن هناك (25 ألف جزيرة) للنخب الشيطانية في المحيط الهادئ وحده!

فما بالنا بالجزر الأخرى في العالم! إذا كل هذا اللغط الدائر حول بوهيمية ولا أخلاقية الممارسات في هذه الجزيرة، تخبئ خلف ستارها آلاف الجزر الأخرى! وبما هو شبيه للممارسات ذاتها وما هو أكثر منها وحشية وشيطانية!

إن ما يحدث في عالم الحضارة الغربية اليوم هو أكثر تعقيداً مما يظهر على السطح رغم شيطانيته، ولكنه بما يشي بأن هذه الحضارة المتحكمة عبر «النخب الشيطانية» في المال والاقتصاد والإعلام والتكنولوجيا والصحة والتعليم وغيره في أغلب دول العالم، هي حضارة وصلت إلى القاع! ليس فقط بسبب مثل هذه الممارسات اللا أخلاقية أو الدوس على الحقوق الإنسانية وعلى رأسها حقوق الأطفال الأبرياء بالملايين الذين يتم اختطافهم سنويا بمعدل (8 ملايين طفل يختفي كل عام في العالم دون معرفة إلى أين)! وليس بسبب انعدام الحريات الحقيقية والجوهرية، أو انعدام العدالة والنزاهة أو ممارسات ازدواجية المعايير في كل ذلك، وإنما تزداد كل آليات تلك السلوكيات لأن النظام العالمي القديم يهيئ نفسه للسقوط أو الإسقاط! وحول آلاف الجزر الشيطانية أو الشريرة بإمكان أي باحث أن يبحث في الـ web ليجد بنفسه أسرار تلك الجزر وما هو أكثر شناعة فيها!

ما استوقفني في كل ذلك هو أيضاً ما قاله «الكسندر دوغين» حين أشار إلى أن شعوب العالم تعيش حاليا في قعر الكون وأن (كل ما نراه هو تمهيد لهدم النظام المالي العالمي القديم)! وأن (الحكومة العالمية أو المحفل العالمي أو سمها ما شئت غيرت مكان ثقلها عدة مدات في القرون الماضية من روما إلى بريطانيا إلى أمريكا! والآن هل ستنتقل مجدّداً؟! هذا ما سندركه جميعاً في وقت قريب! ويبدو أن من يدير هذا العالم يسعى إلى تغيير كل ما فيه! عهد نيكسون شهد انقلاباً ضخما في ميزان القوة الاقتصادية العالمية، أما اليوم يبدو أن هذا النظام سيسقط! نحن الآن مقبلون على نظام مالي عالمي جديد نختلف كليا! لأكون صريحاً معكم.

لا فكرة لدي حتى اللحظة عن شكل هذا النظام العالمي الجديد، ولكن ما أنا متأكد منه وتحدثت عنه عدة مرات .. أن أمريكا أصبحت إمبراطورية منتحرة وانهيارها أقرب مما نتخيل)!

إذا كانت جزيرة «البستان البوهيمي .. («إبستين» الشيطاني مجرد جزيرة من آلاف الجزر الأخرى المنتشرة، رغم شهرة «إبستين» وبستانه البوهيمي! فإن السر وراء النخبة الشيطانية وسقوطها في بستانه الوحشي، يدلل على أن طقوس الجزر الشيطانية هي العنوان الحقيقي لما وصلت إليه القيم الغربية وحضارتها المادية ليس فقط على المستوى الأخلاقي، وإنما على المستوى السياسي والاستخباراتي أيضاً!

وحيث ممارسة الابتزاز بالتوثيق والملفات الفاضحة، هي آلية النظام العالمي الذي تديره هذه النخبة الشيطانية، في ممارسة السياسة وإدارة العالم!

أما كيف تنتشر هذه السلوكيات البعيدة عن الفطرة والقيم الإنسانية، فإن وراءها البحث عن طغيان الغريزة والتوحش في البحث عن الغرائزية حتى وإن كان الذي يديرها إبليس نفسه! هؤلاء المتعاطون بأبشع ما وصلت إليه الحضارات من ممارسات شيطانية، يكرسون الشرّ في العالم عبر «جزر الشياطين» المنتشرة بالآلاف، ويروجّون سلوكيات خارج الفطرة الإنسانية، في اختطاف وقتل الأطفال بالملايين سنويا، واستخدامهم للطقوس الشيطانية من اغتصاب وتعذيب وقتل وشرب دمائهم! في القديم كان هذا موجوداً، ولكن في أطر محدودة وضيقة، أما اليوم فقد تفشى داء التوحش الغرائزي لتصبح جزيرة «البستان البوهيمي» لـ «إبستين» وصمة عار لكل الحضارة الغربية والإنسانية، ولما وصل إليه النظام العالمي من الوقوف أمام الحائط المسدود، بعد أن طغت المادية والغرائزية البوهيمية والطقوس الشيطانية في آلاف الجزر المحاطة بسرية الدجّال وأعوانه ونخبه التي تحكم العالم!

سياسات ترامب ودروس التاريخ

بقلم:
د. عصام عبدالفتاح

في قصيدة للشاعر الإنجليزي ت. س. إليوت «الرجال الفارغون» هناك بيت عميق الدلالة وجدير بالتأمل يقول فيه: «بين الرغبة والقدرة يسقط الظل» وتتجلى الحكمة التي ينطق بها هذا البيت في واقعيته ودلالته على الكوارث التي يتسبب فيها الإنسان بسبب ذلك الظل المشار إليه في البيت.

ترى ماذا عساه أن يكون هذا الظل؟ إنه يتمثل في الفجوة الواسعة العميقة بين ما يرغب الإنسان في تحقيقه ويسعى جاهدا إلى تنفيذه وقدرته الفعلية على تحقيق رغباته في الواقع عندما يصطدم بهذه الهوة الكبيرة الفاصلة بين ما كان يتخيله ويحلم بتحقيقه والواقع الفعلي الذي يعيش فيه بل -وهنا تتجلى ذروة الأزمة- حينما يكتشف أن ما خطط له واتخذه من إجراءات لتجنب الكوارث لم يكن سوى السبب الأساسي المباشر لوقوعها! وتلك هي الفكرة المحورية لمفهوم التراجيديا الإغريقية وفيها يكمن سر قوتها وسداد حكمتها.

وتتجلى بقوة مفارقات «الظل» في مجالات السياسة والاقتصاد والأمن. فقد تتخذ الحكومات قرارات وتصدر ترسانة من التشريعات باسم المصلحة العامة أو الرخاء الاقتصادي أو المحافظة على الأمن والاستقرار ولكنها تفاجأ بأن ما اتخذته من إجراءات قد جر على شعوبها مزيدا من الكوارث.

التاريخ السياسي للدول يعج بأمثلة لزعماء سعوا إلى توسيع نفوذهم خارج حدود دولهم، باسم القوة أو الأيديولوجيا أو «العظمة التاريخية»، لكن طموحاتهم انتهت بكوارث ارتدت عليهم وعلى دولهم.

طمح نابليون إلى السيطرة على أوروبا القارية وإخضاعها للقوة العسكرية وتصدير مبادئ الثورة الفرنسية إليها فشن حروبا متلاحقة ضد الملكيات الكبرى وغزا إسبانيا، وشن حملة على روسيا عام 1812 أدت إلى انهيار جيشه وإمبراطوريته وتحطمت أحلامه بسبب طموحه المفرط وعجزه عن تثبيت السيطرة السياسية على الأراضي التي احتلها.

وفي ألمانيا سعى هتلر إلى إنشاء «المجال الحيوي»(Lebensraum) للأمة الألمانية، وفرض هيمنة أيديولوجية وعرقية على أوروبا، فضم النمسا وغزا بولندا، وفرض سيطرته على أوروبا الغربية، ثم هجم على الاتحاد السوفيتي الذي تمكن عندما حل الشتاء من صده وإلحاق هزيمة قاسية بجيشه وأدت الحرب إلى تدمير ألمانيا وتقسيمها كما أصابت شعبها بصدمة تاريخية طويلة الأمد.

وفي عهد الإمبراطورية اليابانية (1945-1930) سعى قادتها العسكريون إلى فرض هيمنتها على آسيا تحت شعار تخليصها من الاستعمار الغربي؛ فغزا جيشها منشوريا، والصين، وجنوب شرق آسيا وتوسع في المحيط الهادئ ودخل في حرب شاملة مع الولايات المتحدة انتهت بقصف الولايات المتحدة مدينتي هيروشيما ونجازاكي بقنبلتين ذريتين عام 1945 تسببتا في مقتل نحو 140000 إلى 220000 شخص معظمهم من المدنيين.

وها هو ذا التاريخ يعيدنا إلى كارثة مماثلة وشيكة، مسرحها هذه المرة الولايات المتحدة، ففيها تعاود «مفارقة الظل» تشكلها في الأفق. فمنذ أن وصل ترامب إلى الرئاسة شرع في وضع سياسات مغايرة بصورة جذرية لسياسات سابقيه.

وخرجت دراسات عديدة تحاول تحليل التحولات العميقة في السياسة الأمريكية والتنبؤ بما يمكن أن يترتب عليها من آثار بعيدة المدى على السياسة الدولية. ومن بين هذه التحولات تلك التي تتعلق بسياسات الأمن في داخل الولايات المتحدة وخارجها. فالسياسة التي ينتهجها الرئيس الأمريكي داخليا وخارجيا باسم استعادة نفوذ أمريكا الذي بدأ يخفت أمام نفوذ القوى العظمى المنافسة من شأنها أن تطيح برئاسته وبحكومته وأن تضر بمركز بلاده أمام القوى الكبرى الأخرى.

فعندما شنت الولايات المتحدة هجوما عسكريا على فنزويلا إحياءً لمبدأ «مونرو» (Monroe)، الذي أصدره الرئيس الأمريكي الخامس جيمس مونرو في عام 1823 والذي يجعل من أمريكا اللاتينية حظيرة مغلقة للولايات المتحدة لا شأن لأوروبا بها؛ عقد ترامب مؤتمراً صحفياً عقب الهجوم قال فيه: «إن مبدأ مونرو أمر مهم لكننا الآن تجاوزناه بمراحل، واسمه الآن هو «وثيقة دونرو» (Donroe) بدلا من «مونرو»، ولم يعد ثمة تشكيك في الهيمنة الأمريكية في نصف الكرة الغربي مرة أخرى».

وتضمنت نسخة ترامب المحدثة من مبدأ «مونرو» مبدأ يتيح للولايات المتحدة التدخل في أمريكا اللاتينية وتحقيق أهدافها الاستراتيجية والتحكم في الشؤون الداخلية فيها. كما يتسنى لها استبعاد النفوذين الروسي والصيني من نصف الكرة الأرضية.

وأعلن وزير الخارجية الأمريكي ماركو روبيو صراحة أن بلاده لن تسمح بتحول أي دولة في نصف الكرة الغربي إلى مركز لأنشطة خصوم الولايات المتحدة، ولن تقبل بأن تظل أكبر احتياطيات نفطية في العالم تحت سيطرة الصين أو روسيا أو إيران أو أطراف معادية أخرى.

لم يتوقف طموح ترامب المفرط عند غزو فنزويلا في الجنوب، فها هو الآن يخطط لغزو جرينلاند في الشمال ويرسل أساطيله المدججة بالسلاح صوب الشواطئ الإيرانية. فإلى أين يمكن أن تقود هذه السياسات ترامب وأمريكا في عالم اليوم؟

أستاذ فلسفة اللغة والأدب الفرنسي
بكلية الآداب - جامعة حلوان.

سياسة الهجرة تحرك أشباح الماكارثية في أمريكا

بقلم:
د. جيمس زغبي

إذا كنا نريد أن نفهم الكيفية التي يعتمدها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في الترويج لعهدته الرئاسية وسياساته، وخاصة عندما يتم الطعن فيها، فإنه يتعين فهم وإدراك مدى التأثير الذي أحدثه المحامي الراحل روي كوهين، من نيويورك، على نهج ترامب، سواء على صعيد السياسة أو السلطة.

طوال معظم مسيرته المهنية، كان المحامي الراحل روي كوهين لاعباً مؤثرا يعمل من وراء الكواليس، وممارساً يتقن الحيل القذرة وسياسة القوة، حيث ارتبط اسمه برجال من ذوي النفوذ وذلك لمساعدتهم في مسيرتهم المهنية، والاستفادة من ذلك في خدمة مصالحه وتطوير مسيرته المهنية الشخصية.

برز روي كوهين كمدع عام في قضية روزنبرغ، وهما زوجان اتُهِما وأدينا وأعدما بتهمة التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي. بعدها عمل كوهين كخبير استراتيجي رئيسي في جلسات الاستماع التي عقدها السيناتور جوزيف مكارثي في الكونغرس، والتي، ورغم أنها صُممت لكشف التغلغل الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنها انتهت بتدمير حياة أناس كثيرين بدل أن تكشف عن الشيوعيين.

واصل كوهين تقديم المشورة للرئيسين ريتشارد نيكسون ورونالد ريغان، قبل أن يربط مسيرته المهنية بالشاب اليافع دونالد ترامب عندما كان في بداية حياته المهنية في عالم العقارات والسياسة في مدينة نيويورك.

لقد تم تلخيص نصيحة كوهين لأوليئك الذين عمل معهم في ثلاث قواعد أساسية ألا وهي الهجوم، الهجوم ثم الهجوم، وإنكار كل شيء وعدم الاعتراف بأي شيء مهما كانت الأوضاع والاعتبارات - ومهما حدث يجب ادعاء النصر دائمًا وتجنب الإقرار بالهزيمة مهما كانت الظروف.

كان المنطق وراء هذه القواعد الثلاث بسيطا. فلطالما أراد روي كوهين أن يكون عملاؤه أو تلاميذه في وضع الهجوم، وأن يظهروا صورة القوة وعدم الضعف، وأن يبدوا قساة ومسيطرين.

تتجلى هذه السمات يومياً في البيت الأبيض في عهد الرئيس دونالد ترامب، على سبيل المثال، من خلال سخريته وهجماته المتواصلة على سلفه جو بايدن، والديمقراطيين الآخرين، والمحاكم، ووسائل الإعلام الرئيسية، وأولئك الذين يجرؤون على تحديه.

ويمكن ملاحظة ذلك أيضاً في ادعاءات ترامب وتباهيه المتواصل بالنجاح، حتى عندما يقول الواقع عكس ذلك - على سبيل المثال، أن حشوده كانت أكبر من حشود باراك أوباما، وأن أسعار المستهلك آخذة في الانخفاض، أو أنه جلب السلام إلى ثمانية مناطق تشهد صراعات في جميع أنحاء العالم.

شهد شهر يناير 2025 مئالين واضحين اثنين على تطبيق دروس روي كوهين، بدءًا من أداء الرئيس ترامب في منتدى دافوس. ففي خطابه أمام قادة العالم من السياسيين والاقتصاديين، وبينما كان يدافع عن حق الولايات المتحدة الأمريكية في السيطرة على غرينلاند - مؤكدًا أنها لن تتراجع عن مطالبتها - لم يتوان سيد البيت الأبيض في إهانة الأوروبيين، مشيرًا إلى نقاط ضعفهم مقارنةً بقوة الولايات المتحدة الأمريكية، كما هددهم بفرض عقوبات أشد إذا لم يتم تلبية طلبه.

عقب إلقاء ذلك الخطاب، وخلال المفاوضات مع نفس القادة الأوروبيين، تراجع الرئيس ترامب. ومع ذلك، وبعد خروجهم من المفاوضات باتفاق يُبقي الوضع على حاله إلى حد كبير، أعلن ترامب نفسه تحقيق النصر.

يتكرر الوضع نفسه الآن فيما يتعلق بالمشاكل الحقيقية التي يواجهها البيت الأبيض في حملته لاحتجاز وترحيل ملايين المهاجرين غير الشرعيين من الولايات المتحدة الأمريكية. خلال حملته الرئاسية، شن ترامب هجوماً مضاداً واستهدف من خلاله الديمقراطيين ووصفهم بالضعف، واتهم دول أمريكا اللاتينية بفتح سجونها ومستشفياتها العقلية لإغراق الولايات المتحدة الأمريكية بأشخاص خطرين.

تحمّل المهاجرون أنفسهم وطأة وتبعات هجمات ترامب، فكانت النتيجة انتشار الخوف والذعر. وبعد أن خصص حزبه الجمهوري في الكونغرس عشرات الملايين من الدولارات لتمكين البيت الأبيض من توظيف وكالة موسعة لإنفاذ قوانين الهجرة لتنفيذ عمليات الترحيل، بدا الرئيس ترامب في أوج قوته.

ومنذ البداية، اتضح أن الرئيس ترامب ربما كان لديه أجندة أوسع من مجرد ترحيل المهاجرين غير الشرعيين الخطرين. فقد اختار الولايات التي غمرها بعناصر إنفاذ القانون المسلحين، وهي ولايات ذات أغلبية ديمقراطية، وكان الهدف من ذلك هو الترهيب والإذلال.

وكما هو متوقع، على الرغم من أن عمليات إنفاذ قوانين الهجرة هذه في واشنطن ولوس أنجلوس وشيكاغو ومدن في ولاية أوريغون، والآن مينيابوليس، كانت أكثر تعقيدا ولم تحقق النجاح المرجو، فإن الرئيس ترامب لم يتوان عن إعلان النصر كدأبه دائما. فهو لا يعترف بالهزيمة أبداً.

من بين كل هذه المحاولات الأولية لإظهار القوة، قد تكون مينيابوليس هي الأصعب بالنسبة إلى الرئيس ترامب. فقد بدأ حملته الانتخابية بمهاجمة وإهانة حاكم الولاية، وعضوة الكونغرس الصومالية الأمريكية، والجالية الصومالية بأكملها.

دخل عملاء إدارة الهجرة باستعراض قوة هائل - 3000 عنصر فيدرالي مسلح، مقارنةً بقوة شرطة المدينة المكونة من 600 ضابط. ما لم يتوقعه البيت الأبيض هو أنهم سيواجهون مقاومة شديدة من سكان المدينة ذوي الأغلبية البيضاء.

كذلك، وجهت الكنائس والمعابد اليهودية نداءً لأتباعه في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية للانضمام إليهم. وبالفعل فقد توافد عشرات الآلاف لإقامة وقفات احتجاجية وتوفير الحماية للمهاجرين في المدينة.

ربما في حالة من الارتباك، ردّ العملاء الفيدراليون باللجوء إلى استخدام أساليب القوة المفرطة. ففي يناير الماضي، قتل اثنان من المراقبين المتطوعين السلميين الذين كانوا يوثقون ويتابعون عمليات الاعتقال بالرصاص. وجريا على نهج روي كوهين، فقد ردّ مسؤولو إدارة الهجرة بالاعتداء على الضحيتين ومحاولة تشويه سمعتهما.

فقد راحوا يصفونهما بأنهما من «الإرهابيين المحليين»، وقالوا إنهما كانا يحاولان قتل رجال إنفاذ القانون. وكما هو متوقع، فقد شنوا هجمات عنيفة، حيث سعوا إلى نفي